وقفة مع آية

تذكير الأنام بقراءة القرآن

نفحات

١ ربيع الأول ١٤٣٢ هجرية الموافق ٤/٢/٢٠١١

مجلة إسلامية شهرية متخصصة ـ السنة الثالثة ـ العدد الحادي عشر ـ تصدر كل شهرين مؤقتاً

الافتتاحية

الحمد لله الذي امتنّ على المسلمين بتمام النعمة وكمال الدين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد ،

فإن من الأدب مع النبي ﷺ أن نعظِّم حديثه وسنته ، فإذا قال قولاً وصحَّ عنه بالسند الصحيح المتصل ، تأدبنا عند سماع حديثه كما نتأدب بحضرته ﷺ ، لاعتقادنا أنه قاله ﷺ ، كما أن من محبته ﷺ أن نتبع طريقته فنراها أكمل الطرق وأفضلها ، بل يجب الاعتقاد أنه لا طريق يوصل إلى الله ودار نعيمه إلا من طريقه ﷺ ، فقد أرسله الله عزَّ وجلَّ ليبين للناس طريقة التعبد بما أُنزل إليهم ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ، وليس فقط أن يدلهم على خالقهم ومعبودهم دون بيان طرق العبادة ووسائلها، لا سيّما وأن الله عزَّ وجلَّ قد أكمل له الدين ، وأتمّ عليه النعمة بتمام العبادات ، ولذلك صار الابتداع في الدين قادحاً في اعتقاد كمال الدين ، ويلزم على هذا المسلك أن الرسول ﷺ قصَّر في تبليغ الرسالة ، وإلا كيف يعتقد في عبادةٍ أنها حسنة ولم يبينها رسول الله ﷺ ، ولذلك قال الإمام مالك رحمه الله : (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً) . فحري بكل مسلم محبّ لرسول الله ﷺ أن يتأدب معه بالاقتصار في التعبد على طريقته ﷺ ، وأن لا يزيد في الدين من عند نفسه ، فإن الاجتهاد طريقه الأحكام لا العبادات فإن مبناها على التوقيف، لذلك أنكر الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله على من زاد في العبادة ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء) .

فهلّا عظَّمنا سنته وطريقته ﷺ بالاجتهاد في اتباعها ، دون الإعراض عنها واتباع طريقة غيره ؟

المدير المسؤول
فضيلة الشيخ سامي بن سعيد بكور

صاحب الامتياز ورئيس التحرير
د. سعد الدين بن محمد الكبي

مدير التحرير
فضيلة الشيخ
محمود بن صفا الصياد المكلا

سكرتير التحرير
ماهر إدلبي

لبنان ـ عكار
ص.ب : ٢٠٨ ـ طرابلس
تليفاكس : ٨٧٧٨٨٠ ٦ ٠٠٩٦١
E-mail
majallat.nafahat@gmail.com
الحوالات المصرفية : بنك البركة
طرابلس ـ التل : ٠٢٩١٦٤

إن الله تعالى أوجب علينا طاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ، وجعل الله على عباده حقوقاً له لا يشاركه فيها أحدٌ، لا نبيٌّ مرسل، ولا ملك مقرّب، وجعل لنبيه ﷺ حقوقاً على أمته لا يساويه فيها أحد من الخلق.

قال العلامة ابن قيم الجوزية:

لله حـــــق ليس لعبـــده ... ولـعبده حق هما حقـــان

لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... مـن غير تمييز ولا فرقـــان

وحقه ﷺ علينا محبته وطاعته واتّباعه وتوقيره واحترامه من غير غلو ولا إفراط، كما قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

محبة النبي ﷺ وتعظيمه: لقد حبا الله تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية ما كان داعياً لكل مسلم أن يجلّه ويعظّمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد اختار الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ اسم (محمد) المشتمل على الحمد والثناء، فهو ﷺ محمود عند الله تعالى، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين عليه الصلاة والسلام، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وإن كفر به بعضهم، لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد، فصدق عليه وصفه نفسه ﷺ حين قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من يشق عنه القبر، وأول شافع مشفع**» [رواه مسلم].

ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق الخلق وأكرم شمائل الخلق، فإنه ﷺ كان أعظم الخلق وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم، وأسخاهم، وأشدّهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً.

أقسام محبته ﷺ:

قال ابن رجب الحنبلي: إنَّ محبة الرسول ﷺ درجتين: **الدرجة الأولى**: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلّغه عن ربّه من تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به من الواجبات والانتهاء عمَّا نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بُدَّ منه ولا يتمّ الإيمان بدونه.

الدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة. [استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس]

وجوب محبة النبي ﷺ: إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا

حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضي عياض في شرح الآية : (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجّة على إلزام محبّته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ ، إذ قرّع اللهُ من كان ماله وأهله وولده أحبّ إليه من الله ورسوله ، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ ثم فسّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممّن ضلّ ولم يهدِه الله) [خلاصة الشفا في تعريف حقوق المصطفى (ص: ٨٥)]

قال رسول الله ﷺ : «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم** : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ » [رواه البخاري] . وقال رسول الله ﷺ : «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه**» [رواه مسلم] . وقال ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**» [رواه البخاري ومسلم] .

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنــت أحبّ إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك**»، فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحبّ إلي من نفسي . فقال النبي ﷺ : «**الآن يا عمر**» . [رواه البخاري] قال ابن حجر: أي الآن عرفت فنطقت بما يجب .

وقال رسول الله ﷺ : «**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» [رواه البخاري ومسلم].

الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ :

١ ـ محبة الله تعالى والأنس بذكره وحمده وشكره .

٢ ـ تقديم محبة النبي ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه .

٣ ـ تولي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وذكر محاسنهم وفضائلهم والكفّ عمّا شجر بينهم.

٤ ـ إجلال أهل بيت النبي ﷺ وآله إجلالاً يليق بهم وإكرام الصالحين منهم وموالاتهم .

٥ ـ تعظيم السنّة والآثار والأدلة من الوحيين قولاً وعملاً وعلماً .

٦ ـ الإكثار من قراءة السيرة النبوية والتعرف على أحوال النبي ﷺ وأقواله وأفعاله وإكثار الصلاة على النبي ﷺ .

مظاهر الجفاء مع النبيّ صلى الله عليه وسلم

١ ـ البعد عن السنة باطناً وظاهراً : وذلك بتحول العبادات إلى عادات ونسيان احتساب الأجر من الله تعالى أو ترك متابعة الرسول ﷺ وتعظيمه والمحبة القلبية الخالصة له ونسيان السنن وعدم تعلّمها أو البحث عنها وعدم توقير السنّة والاستخفاف بها باطناً . قال رسول الله ﷺ : «**فمن رغب عن سنّتي فليس مني**» متفق عليه .

٢ ـ ردّ الأحاديث الصحيحة : ومما يلاحظ من الجفاء ردّ بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة بأدنى حجّة من الحجج ، كمخالفة العقل أو عدم تمشيها مع الواقع أو عدم إمكان العمل بها أو المكابرة في قبول الأحاديث وتأويل النصوص وتحريفها لأجل ذلك أو ردّ الأحاديث الصحيحة باعتبار أنها آحاد ، وأغلب أحكام الشريعة إنما جاءت من طريق الآحاد، أو دعوى العمل بالقرآن وحده وترك ما سوى ذلك ، وقد قال ﷺ : «**لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**» [رواه الترمذي] .

وإن زعموا ما زعموا من وجوب وحدة المسلمين على القرآن وحده ، فإن الله تعالى أوجب في القرآن الأخذ عن

الرسول ﷺ كل ما أتى به جملة وتفصيلاً ، فقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧]. وقد ذكر الله تعالى طاعة الرسول ﷺ في القرآن في ثلاث وثلاثين موضعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» [رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود] .

٣ ـ العدول عن سيرته ﷺ وسنته : وفي عصر الإعلام يتجلى الجفاء في العدول عن سيرته ﷺ وسنته وواقعه وأعماله إلى رموز آخرين من عظماء الشرق والغرب كما يسمَّون سواء كانوا في القيادة والسياسة أو في الفكر والفلسفة أو في الأدب والأخلاق .

٤ ـ نزع هيبة الكلام حين الحديث عن النبي ﷺ : وفي مجالسنا يلاحظ المتأمل منّا جفاءً روحانياً يتضح في نزع هيبة الكلام حين الحديث عن النبي ﷺ وكأنها حديث عابر أو سيرة شاعر أو قصة سائر فلا أدب في الكلام ولا توقير للحديث ولا استشعار لهيبة الجلال النبوي ولا ذوق للأدب النوراني القدسي ، فلا مبالاة ولا اهتمام ولا توقير ولا احترام ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات: ٢] . هذا أيها الناس هو الأدب الرباني ، فأين الأدب الإنساني قبل الأدب الإسلامي ؟

٥ ـ هجر أهل السنة واغتيابهم والاستهزاء بهم : ويلحق بالجفاء جفاء القلوب والأعمال تجاه من خدموا السنّة ويتمثل ذلك في هجر أهل السنّة والأثر العاملين بها أو اغتيابهم ولمزهم والاستهزاء بهم واستنقاص أقدارهم وانتقادهم وعيبهم على التزامهم بالسنن ظاهراً وباطناً .

٦ ـ الابتداع في الدين : ويزداد الجفاء سوءاً حين يبتعد المرء عن الجادة والشرع إلى سلوك الابتداع في الدين ومشابهة حالة المخلطين من تعظيم مشايخ الطرق ورفعهم فوق منزلة الأنبياء بما معهم من الأحوال الشيطانية والخوارق الوهمية أو الغلو في الأولياء الذين يظن أنهم كذلك وإطراؤهم في حياتهم وتقديسهم بعد مماتهم ودعاؤهم من دون الله ، والنذر لهم وذبح القرابين باسمهم والطواف حول قبورهم أو البناء عليها ، وهذا هو الشرك الذي بُعث النبي ﷺ لإزالته وهدمه وإقامة صرح التوحيد مكانه في الأرض وفي القلوب ، فأقام الله دينه ونصر عبده وأعزّ جنده المؤمنين ، وأقرّ الله أعينهم بإزالة علائم الشرك والأوثان وأوثان الجاهلية حين كان النبي ﷺ يطعنها ويحطمها بيده وهو يقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] ، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩] .

٧ ـ الغلو في النبي ﷺ : ومن الجفاء الذي يخالف هدي النبي ﷺ ودعوته ، بل يخالف الأصل الذي أرسله الله به وهو التوحيد ، الغلو في النبي ﷺ ورفعه فوق منزلة النبوة وإشراكه في علم الغيب أو سؤاله من دون الله أو الإقسام به ، وقد خاف النبي ﷺ وقوع ذلك فقال في مرضه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، ولكن قولوا : عبد الله ورسوله**» [رواه البخاري] . وقال ﷺ : «**لا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» [رواه أبو داود وصححه الألباني في غاية المرام] .

ويبلغ الحدّ في التنفير من الغلو في ذاته ﷺ أن لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، فقال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» [رواه البخاري ومسلم] .

ومن الغلو فيه ﷺ : الحلف والإقسام به ، فإنه من التعظيم الذي لا يصرف إلا لله وحده ، وقد قال ﷺ : «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» [رواه البخاري ومسلم] .

٨ ـ ترك الصلاة عليه ﷺ : قال النبي ﷺ : «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ**» [رواه الترمذي] . وقال ﷺ : «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ**» [رواه الترمذي] .

إن أغلى ما يجب أن يعتز به المسلمون ويحافظوا عليه ، ويستمسكوا به ، ويدعوا إليه ، دينهم وعقيدتهم (الإسلام)، كيف لا ؟ وهو دين الله الحق الذي لا يرضى لهم من الدين غيره ، ولا يستقيم الدين إلا بسلامة التوحيد وصحة العمل، وذلك بالاستمساك بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح. [مباحث في عقيدة أهل السنة بتصرف (٣-٤) د. ناصر العقل]

وأعظم ما تصرف إليه الهمم ويعمل له : التوحيد . إذ أنه لا سيادة ولا سعادة ولا عزّ ولا فلاح إلا بتحقيقه والعمل بمقتضياته .

ولماذا كان للتوحيد هذا الأثر الجليل والمكانة العظيمة ؟

نلخص ذلك في النقاط التالية :

إن للتوحيد منزلة عظيمة ، وقدراً جليلاً لأمور كثيرة ، منها :

أ ـ **أنه أشرف العلوم** : (فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم ؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم) . [شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٦٩)] وشرف كل علم بشرف موضوعه ، وموضوع هذا العلم : الحديث عن الله تبارك وتعالى . والحديث عنه عزَّ وجلَّ أعظم لذات الدنيا ، بل والله ما طابت هذه الدنيا إلا بمحبته ومودته والأنس به ، ولا طابت الجنة إلا برؤيته ومشاهدته ، إذ أنه جنة الدنيا ، ومن لا يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة . وجنة الدنيا ذكر الله ومعرفته والتلذذ بتوحيده والتقرب إليه جل جلاله .

ب ـ **القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يبين التوحيد ويوضحه** ، فلا تمر بآية من كتاب الله إلا وفيها ما يدل على التوحيد، فهو أوجب الواجبات وأهم المهمات ، ومن ثمَّ كان أول أمر في كتاب الله : الأمر بالتوحيد .

جـ ـ **إن السعادة في الدارين متوقفة عليه** و(حاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة). [شرح الطحاوية (٦٩)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب ، فإن آخر

ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان ، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا تُرْجى الحياة معه أبداً، أو شَقِي شقاوة لا سعادة معها أبداً) . [مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦ ـ ٩٧)]

د ـ **لا قبول للعمل إلا إذا دخل صاحبه من باب التوحيد** ، إذ إنه الأساس الأعظم ، والمفتاح الأقوم ، فكلّ عمل مهما عظم لا قيمة له إلا إذا زين بتوحيد الله تعالى وأشرقت عليه أنواره .

وقد بيَّن الله لنا أعمالاً جليلة لا ينتفع بها أصحابها لأنها بنيت على غير أساس من توحيد الله ، وما بني على فاسد فهو فاسد . قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال سبحانه : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائد: ٥] . وما ذلك إلا لأن أعمالهم خلت من أصل القبول ، ألا وهو الإيمان والتوحيد . فـ(لو لقي اللهَ العبدُ بأعمالٍ أمثال الجبال من صلاة وزكاة وصوم وحج وصدقة ، وليس معه توحيد ، لما قبله الله منه ولجعله هباءً منثوراً ، لأنه لم يأتِ بما يدخل به الإسلام ويخلص به من الشرك) .

روى مسلم في صحيحه (٢١٤) عن عائشة ﵂ قالت : قلتُ : يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : «**لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**» .

هـ ـ **لا نجاة في الدارين إلا به** ، فأقل ما فيه ـ وليس بقليل ـ أنه يمنع من الخلود في النار ، وأعظم ما فيه أن من حققه دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب .

و ـ **أنه أول واجب على المكلّف** ، فعن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» وفي رواية : «**إلى أن يوحدوا الله**» . [رواه مسلم (١٩)] فيستفاد منه : (أن أول ما يدعى إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن لا يطالب أحد بالصلاة والزكاة حتى يأتي بالأساس) . [التعليق على صحيح مسلم للشيخ ابن عثيمين بتصرف (١/ ١٤٦)]

ز ـ **أنه آخر واجب** ، قال رسول الله ﷺ : «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» [رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الألباني] .

ح ـ **أنه دعوة الرسل عليهم السلام** ، فما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه إلى هذه القضية الكبرى ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

ط ـ **أنه سبب ولاية الله للعبد** ، وعلى حسب كمال توحيد العبد تكون ولاية الله تبارك وتعالى له.

فنسأل الله العلي العظيم أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سُترة المصلي مشروعةٌ في الفلاة وفي العمران.

بقلم: الشيخ الدكتور عدنان أمامة.

ثبت أن النبي ﷺ كان يتقصد وضع السترة أمامه عند الصلاة ، فكان يصلي تارة إلى السرير ، وتارة إلى جدار، وتارة إلى الأسطوانة ، وتارة إلى حربة ، وتارة إلى عنزة، وتارة إلى راحلته ، وتارة إلى مقام إبراهيم ، وهذا كله ثابت في الصحيحين أو أحدهما .

ولذلك اتفق العلماء جميعاً على مشروعية السترة ، كما نقل ذلك ابن عبد البر وابن رشد وابن قدامة وابن تيمية والسفاريني والنووي وابن حزم وغيرهم .

وقد دلّت الآثار على أن السلف الصالح كانوا يحرصون على السترة في صلاتهم ، وكانوا ينكرون على من يصلي لغير سترة . وكان اهتمامهم بالسترة عام ودائم في جميع الصلوات ، سواء السنة والفرض ، وسواء كان ذلك في الصحاري أو في العمران .

والأدلة على سنية اتخاذ السترة في الفلاة كثيرة ، منها :

ما رواه البخاري (٤٩٤) ومسلم (٥٠١) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها والناس وراءه ، وكان يفعل ذلك في السفر ، فمن ثَمَّ اتخذها الأمراء .

وروى مسلم (٥٠٢) أيضاً عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يغرز العنزة ويصلي إليها . زاد ابن أبي شيبة : قال عبيد الله : وهي الحربة .

أما اتخاذ السترة في المسجد ، فوردت فيها أحاديث ، منها :

ما روى البخاري (٥٠٣) عن أنس رضي الله عنه قال : لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب.

ولمسلم برقم (٨٣٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا بالمدينة ، فإذا أذّن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فيركعون ركعتين ركعتين ، حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صلّيت من كثرة من يصليها . وروى البخاري (٥٠٢) ومسلم (٥٠٩) عن يزيد بن أبي عبيد قال : كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف . فقلت : يا أبا مسلم ، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة ؟ قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها . وروى البخاري في صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي بين أسطوانتين فأدناه إلى سارية فقال : صلِّ إليها . قال ابن حجر : أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى سترة .

قال ابن بطال : لما تقدم أنه ﷺ كان يصلي إلى الحربة ، كانت الصلاة إلى الأسطوانة أولى لأنها أشد سترة .

قال ابن حجر : أراد البخاري بإيراد أثر عمر أن المراد بقول سلمة : (يتحرى الصلاة عندها) أي: إليها . وكذا قول أنس : (يبتدرون السواري) أي : يصلّون إليها .

وروى ابن أبي شيبة من حديث نافع قال : كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلاً إلى سارية من سواري المسجد ، قال لي : ولّني ظهرك . وروى ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع أنه كان ينصب أحجاراً في البرية ، فإذا أراد أن يصلي صلى إليها . وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن أنس رضي الله عنه أنه نصب العصا في المسجد الحرام وصلى إليها .

فهذه الآثار تدل بشكل قطعي على مشروعية اتخاذ السترة داخل المسجد ، كما هو مشروع في الصحارى والفلوات.

وقد نصّ كثير من الفقهاء على ذلك . قال ابن قدامة في المغني : (يستحب للمصلي أن يصلي إلى سترة ، فإن كان

في مسجد أو بيت صلى إلى الحائط أو سارية ، وإن كان في فضاء صلى إلى شيء شاخص بين يديه ، أو نصب بين يديه حربة أو عصا أو عرض البعير فصلى إليه أو جعل رحله بين يديه ، وسئل أحمد : يصلي الرجل إلى سترة في الحضر والسفر ؟ قال: نعم ، مثل آخرة الرحل ، ولا نعلم في استحباب ذلك خلافاً ، والأصل فيه أن النبي ﷺ كان تركز له الحربة فيصلي إليها ويعرض البعير فيصلي إليه . وروى أبو جحيفة أن النبي ﷺ ركزت له العنزة فتقدم وصلى الظهر ركعتين يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع . [انظر البخاري (٣٧٦) ومسلم (٥٠٣)] . وعن طلحة بن عبيد الله قال : قال رسول الله ﷺ: « **إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصلِّ ولا يبالِ من مر وراء ذلك** » أخرجه مسلم (٤٩٩) .) [المغني (٢ / ٦٧)] . وقال العلامة أحمد بن محمد خليل ـ من علماء الحنابلة ـ في التهذيب المقنع في اختصار الشرح الممتع (١/ ٢٨٤)، قال : (قوله: (وتسن صلاته إلى سترة) أي: يسنّ أن يصلّي إلى سترة . وظاهره : أنّه سواء كان في سفر أم في حضر ، وسواء خشي مارّاً أم لم يخشَ مارّاً ، لعموم الأدلة في ذلك . وقال بعض أهل العلم : إنه إذا لم يخشَ مارّاً فلا تسنّ السّترة . ولكن الصحيح : أن سنيّتها عامة ، سواء خشي المارّ أم لا . وعلم من كلامه : أنّها ليست بواجبة ، وأنّ الإنسان لو صلّى إلى غير سترة فإنه لا يأثم ، وهذا هو الذي عليه جمهور أهل العلم . والقول الثاني : أن السّترة واجبة . وأدلّة القائلين بأن السّترة سنّة وهم الجمهور أقوى ، وهو الأرجح . أما المأموم فلا يسنّ له اتّخاذ السّترة) .

وقال ابن حبيب من المالكية : (من شأن المصلي أن لا يصلّي إلا إلى سترة ، في سفر كان أو حضر ، أمن أن يمر أحد بين يديه أو لم يأمن) اهـ . بل نصّ بعض الفقهاء على مشروعية أن يتحول المسبوق إلى ما يستتر به بعد انفصاله عن إمامه .

قال العلامة الفقيه سحنون بن سعيد التنوجي المالكي في المدونة الكبرى (١/ ٢٨٩): (قال ابن قاسم : وقال مالك : إذا كان الرجل خلف الإمام وقد فاته شيء من صلاته فسلّم الإمام وسارية عن يمينه أو عن يساره ، فلا بأس أن يتأخر إلى السارية عن يمينه أو عن يساره إذا كان ذلك قريباً يستتر بها ، قال : وكذلك إذا كانت أمامه فيتقدم إليها ما لم يكن ذلك بعيداً ، قال : وكذلك إذا كان ذلك وراءه فلا بأس أن يتقهقر إذا كان ذلك قليلاً ، قال : وإن كانت سارية بعيدة منه فليصلِّ مكانه وليدرأ ما يمرّ بين يديه ما استطاع) .

تنبيهات على مسائل متعلقة بالسترة : أولاً : ما يفعله بعض الناس من اتخاذ الخط سترة لا يصلح ، والحديث الوارد في ذلك ضعّفه جمع من أهل العلم كابن الصلاح والعراقي وغيرهم ، والسنة أن تكون السترة قدر ثلثي ذراع فأكثر ، طولاً ؛ لما رواه مسلم (٥٠٠) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (سئل رسول الله ﷺ عن سترة المصلّي ، فقال : «**مثل مؤخرة الرَّحل**»).

ثانياً : اتفق الفقهاء على أن السترة تشرع للمنفرد والإمام ، أما المأموم فلا يستحب له أن يتخذ سترة ، وعليه؛ فيجوز المرور بين يدي المأموم لحاجة بدليل ما رواه البخاري (٧٦) ومسلم (٥٠٤) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أقبلتُ راكباً على حمارٍ أتان ، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله ﷺ يصلّي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف ، فلم ينكر ذلك عليَّ أحدٌ . ثالثاً : لا خلاف بين الفقهاء في أن المرور وراء السترة لا يضرّ ، وأنّ المرور بين المصلي وسترته منهيٌّ عنه ، فيأثم المارّ بين يديه ، لقوله ﷺ: «**لو يعلم المارُّ بين يدي المصلّي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمرّ بين يديه**» . [رواه البخاري (٥١٠) ومسلم (٥٠٧)] .

رابعاً : يُسنُّ لمن أراد أن يصلّي إلى سترة أن يقرب منها نحو ثلاثة أذرع من قدميه ولا يزيد على ذلك . لحديث سهل بن أبي حثمة مرفوعاً : «**إذا صلّى أحدكم إلى سترة فليدنُ منها ، لا يقطع الشيطان عليه صلاته**» . [رواه أبو داود (٦٩٥)] .

المعدة بيت الدّاء

بقلم: الشيخ صالح بن مصطفى دلة.

عـــن مقـــدام بـــن معدي كرب قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « **ما ملأ آدمي وعاء شرّاً من بطنٍ، بحسب ابن آدم أُكُلاتٌ يُقمِن صُلبَه ، فإن كان لا محالةَ، فثلثٌ لطعامه ، وثلثٌ لشرابه ، وثلثٌ لنفسه** » . [رواه الترمذي (٢٣٨٠) وصححه الألباني]

وجَّهَ النبيُّ ﷺ أمته لأدب ، وخلق ، وعمل ، وأصل جامـع ، إذا استعمله الناس فقد تتعطل دكاكين الصيادلة ، ويقل عدد المرضى في المستشفيات ، ذلك بأن التخمة سبب لمعظم الأدواء ، فإن منافع قلة الغذاء وترك التملؤ من الطعام تعود على صحة البدن ، وصحة القلب المادية والمعنوية ، بينما التوسع في الأكل والشرب يثقل البدن ويزيل الفطنة ، ويجلب المرض والنوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة .

إن المطّلع على الصحف والمجلات وباقي وسائل الإعلام (المسموعة والمرئية والمقروءة) يجد أن موضوع تخفيف الوزن «الريجيم» قد طغى على هذه الوسائل الإعلامية؛ وذلك بسبب ما نشرته الإحصائيات العالمية من ارتفاع نسبة السمنة في المجتمعات وخاصة العربية منها، وأن للسمنة أضراراً كبيرة وعظيمة ، من

أمراضٍ تصيب القلب ، وأمراض السكري ، وانسداد الشرايين، وتراكم الدهون القاتلة، والسرطان ، وغير ذلك من الأمراض العديدة والتي يرجع سببها إلى الإسراف في المأكل والمشرب . قـال تعالى : ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ** ﴾ [الأعراف: ٣١] فالإسراف في الطعام والشراب جاء به النهي من قِبَل الله تعالى ، والله لا ينهانا عن شيء إلا لعلمه بأنّ فيه ضرراً علينا .

وقول النبي ﷺ في الحديث: « **فإن كان لا محالةَ** » أي : لا محالة مِنْ تجاوز اللقيمات التي تكفي لسدِّ الرّمق وإمساك القوة ، فلتكن حينئذٍ أثلاثاً ، فثلثٌ لمأكوله يجعله له ، وثلثٌ لمشروبه يجعله له ، وثلثٌ يدعه لنفسه ليتمكن من التنفس . وهذا من أفضل الأسباب لطلب استدامة الصحة من الله في البدن ، فلا يُقدّم الطعام حتى يُشتهى وتطلبه النفس ، فإذا قُدِّم أُخذت منه الحاجة ، ثم يُرفع وفي النفس بقية من تلك الشهوة .

الحمية رأس الدواء ، والبطنة رأس الداء . قال محمد ابن واسع : من قلّ طعامه فَهِمَ وأفهَمَ . وقال مالك بن دينار: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همّه ، وأن تكون شهوته هي الغالبة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيراً ، فأسْلَمَ ، فكان يأكل أكلاً قليلاً ، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فقال : « **إن المؤمن يأكل في معيٍّ واحدٍ ، والكافرُ يأكل**

في سبعةِ أمعاء » . [رواه البخاري (٥٣٩٧)] .

وانظر إلى نبينا ورسولنا محمد ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] ، ماذا كان يأكل ﷺ ؟ ومتى كان يشبع ﷺ ؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قُبض**» [رواه البخاري (٥٣٧٤) ومسلم (٢٩٧٦)] ، وقالت عائشة بنت الصديق رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وحبيبه : « **ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُّر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض**» [رواه البخاري (٥٤١٦) ومسلم (٢٩٧٠)] . والبُّر : هو القمح ، وطعام البُّر : أي الخبز . وهو أفضل ما يُؤكل لاستجلاب الشبع .

وعن قتادة قال : كنا عند أنس رضي الله عنه وعنده خبَّاز له فقال : ما أكل النبي ﷺ خبزاً مرققاً ولا شاةً مسموطةً حتى لقي الله . [البخاري (٥٣٨٥)] والشاة المسموطة هي التي يُزال شعرها بعد ذبحها بالماء الساخن ، وتُشوى أو تُطبخ بجلدها ، وإنما يصنع ذلك في الشاة الصغيرة الطرية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ـ أي : جائعاً ـ وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير . [رواه الترمذي (٢٣٦٠) وحسنه الألباني]

بل كان النبي ﷺ ينهى عن كثرة الشبع ، فقد تجشّأ رجلٌ عند النبي ﷺ ، فقال له : «**كفّ عنا جشاءك ، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة**» [رواه الترمذي (٢٤٧٨) وحسنه الألباني] . والجشاء: هو الصوت الذي يخرج من الفم مصحوباً بهواء ورائحة الطعام نصف المهضوم ، والنهي عن الجشاء نهيٌ عن سببه ، وهو الشبع . [التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٤٠٩)] .

والشبع إذا طال وقته ، وقصر ضده ، أفضى إلى السِّمنِ وهو كثرة اللحم أو الدهن في الجسم . والمذموم منه من يستكسبه . وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل هذا فيه. والمكتسب له هو المتوسع في المأكول والمشروب زائداً على المعتاد ، وفي صحيح البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السِّمن** » . أي : يحبون التوسع في المطاعم الموجبة للسمن ، أو يتعاطون التسمين ، ويكثر ذلك فيهم استكساباً بعدُ ، لا خلقة ، فهو من زهرة الدنيا وانفتاحها عليهم ، وقد عصم الله السابقين ـ القرون الخيرية ـ من ذلك .

وما أجمل قول الشاعر، وهو يضع يده على الجرح ، حيث قال :

أكبَّ على الخِوان وكان خفّاً ... فلما قام أثقَلَه القيامُ

ووالى بينهما لُقَماً ضِخَاماً ... فما مَرِئتْ له اللُّقَمُ الضخامُ

وعاجلَ بلعَهُنّ بغير مضغٍ ... فهنّ بفِيه وضعٌ فالتهامُ

ألا إن الطعام دواءُ داءٍ ... به ابتُليت من القِدم الأنامُ

فداوِ سقامَ جوعك عن كفافٍ ... فإكثارُ الدواء هو السِّقامُ

فلا تكن فتىً أكولاً ... لفطنته ببطنته انهزامُ

نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقفت أمام المرآة تتأمل وجهها ، وقد خطّت السنون على محياها جهد الأيام وحول عينيها وعلى مفارق شعرها متاعب الحياة ، وكأنها تحمل همَّ العالم أجمع ، فبدت أكبر من عمرها بكثير .

تفاجأت من مظهرها وتساءلت في نفسها : كم مضى عليَّ وقت لم ألاحظ هيأتي ؟! أهكذا أبدو؟!

نظرت إلى يمينها حيث أدوات الزينة وحليها ، والتفتت إلى يسارها حيث ثيابها مكدسة ، ياه مسكين زوجي العزيز ، كم مضى وقت طويل لم يَرَني متزيّنة ، إن خرجت فبجلبابي ، وإن عدت فبثياب البيت . عملي في المؤسسة أنساني أنوثتي ... لا بُدَّ من إجازة ، نعم لا بُدَّ من إجازة .

لن أخرج اليوم ، سيظلّ صغيري في حضني ، لن أوقظه باكراً من سريره الدافئ ، لن أوصله لدار الحضانة تحت المطر ، ولن أضعه بين يدي مربيات غريبات عنه ، لن أسمع صوت بكائه يملأ أذناي وهو ينادي : ماما !! وأنا أغادر حزينة ـ وصدى صوته يقطع فؤادي ـ مسرعة كي لا أتأخر عن عملي .

اليوم أنا سأرتب البيت ، أنا سأنظف السجاد ، وأمسح الأرض ، لن أتصل بالتي تساعدني . أنا سأقف لأعدّ الطعام ، سأختار طعاماً لذيذاً يحبّه الجميع ، وليس من الوجبات السريعة .

رأيت الابتسامة على وجه صغيرتي عندما فتحت لها أنا الباب ، لن تضطر بعد اليوم أن تنتظرني وحيدة إلى أن أعود، بل وجدت الطعام جاهزاً ، لم تأكله بارداً ، حدثتني عن يومها المدرسي وأنا أستمع لها بكل شوق ولهفة ، لن أقول لها فيما بعد ، أنا متعبة ! لن أغلق باب غرفتي بوجه أبنائي لأرتاح ، اليوم أنا سأدرسها ، سأمسح على رأسها وأقبلها وأشجعها ، وأنا أراها تبذل كل ما في وسعها لترضيني .

اليوم سأستقبل زوجي متزينة ، لن يراني منكوشة الشعر ، رثّة الثياب ، بل سأتناول الطعام معه ، لن يأكل وحده بعد اليوم ، سنشرب الشاي سوياً ، وسأستمع إليه . كم هو محدّث بارع ، لم أسمعه كذلك منذ أيام زواجنا الأولى.

ياه ، كم بيتي رائع ، ولمساتي تزيّن كل ما فيه . كم أحبّ عائلتي الصغيرة وأنا أرى علامات الشكر تشعّ من قلوبهم.

الحمد لله أني أدركتُ كلَّ هذا قبل أن يأتي يوم كلّنا لا ندرك ما أصابنا . الآن ، والآن فقط ، فهمت معنى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

إن شرف العلم تابع لشرف المعلوم ، وإن شرف الكلام تابع لشرف المتكلم ، لذلك فإن أعظم الكلام القرآن الكريم ، لأنه كلام ربنا العظيم ، فهو كلام الله المتعبد بتلاوته المنزّل على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين .

المعجز بأقصر آية منه ، الذي أعجز الورى عن الإتيان بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، المبدوء بالحمد لله رب العالمين ، المختتم بالجِنّة والناس . زيَّنَ الله به ألسنة الذاكرين ، كما زيّن بالنور أبصار الناظرين .

وصفه الله تعالى بأوصاف تنبئ عن عظم شأنه ، وقوة حججه وبرهانه ، وحُسن عاقبته على تاليه والمتدبر له . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ٧٧] ، وقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

فهو النور المبين ، والصراط المستقيم ، والحبل المتين ، وفيه شفاء الصدور ، وسبب السرور ، وراحة المضرور .

وكم في سنة النبي ﷺ من الحثّ على العناية بالقرآن ، والترغيب في تلاوته وتدبره من فضل الرحمن ، كقوله ﷺ : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» ، وقوله : «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأهله**» ، وقوله : «**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**» .

فالقارئ لكتاب الله هو من أطيب الناس عيشاً ، وأنعمهم بالاً ، وأشرحهم صدراً ، وأسرِّهم قلباً ، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة .

أما الغافل عن تلاوته وتدبره فهو كالعين العمياء ، والأذن الصماء ، واليد الشلاء .

فلنكن يا أخوتي من أهل القرآن ، الذين هم أهل الله وخاصته ، ولنكن ممن يتعلمه ويتدبره ويتفهمه ، ويعمل به ويعلّمه ، ويتخلق به ويدعو إليه ، فنكون مباركين أينما كنّا ، جعلني الله وإياكم من أهله ، وجعله حجة لنا يوم نلقاه . اللهم آمين .

وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

نظم العذب النمير في ضوابط التكفير

بقلم: الشيخ أبي يوسف فواز بن منذر بك المرعب البيضيني

إن مسألة تكفير المعيّن ، من أدق المسائل في العلم وأخطرها ، لأنها تحتاج إلى علم ومعرفة بأصول أهل السنة والجماعة ، كما أنها تبنى على معرفة أحكام وجوه الأقوال والأفعال ، وعلى أي وجهٍ فعل ذلك ، أو على أي وجهٍ قال ذلك ، لا سيّما في الأقوال والأفعال المحتملة.

ولما كان خطر التكفير عظيماً ، وتترتب عليه نتائج خطيرة ، حذّر النبي ﷺ أمته من هذا المسلك فقال: « **أيّما رجل قال لأخيه: يا كافر ، فقد باء بها أحدهما** ». [رواه البخاري (٦١٠٣ ـ ٦١٠٤) ومسلم (٦٠)] وزاد مسلم: « **إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه** ».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « والتحقيق: أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم ، وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم ». [فتح الباري (١٠/ ٤٨١)]

إن المخرج من هذه الفتنة يكون بالعودة إلى منهج السلف الصالح ، ومنه ـ في هذا الباب ـ :

أولاً : الوقوف في المسائل الكبار خلف أهل العلم ، وليس هذا من اتخاذهم أرباباً من دون الله عزَّ وجلَّ، بل لأن تنزيل أحكام التكفير على المعيّن من المسائل الكبار ، وتحتاج إلى اجتهاد في معرفة انطباق الشروط وانتفاء الموانع ، وهي موكولة إلى علماء الأمة دون طلابها وصغارها.

ثانياً : التحذير من مجالسة التكفيريين لأنهم من أهل البدعة ، وقد نهى السلف عن مجالستهم ، فقد كان الحسن يقول : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم ». [فتح الباري (١/ ١٥٠)]

وقال ابن المبارك : « إيّاك أن تجالس صاحب بدعة ». [فتح الباري (١/ ١٥٥)]

ولما كان ذكر الضوابط يمنع من تنمية البدعة ، ويقلل من سوء الفهم ، رأينا نشر هذه المنظومة التي حوت ضوابط تكفير المعيّن ، إسهاماً منّا في ضبط الساحة الإسلامية ، والعمل على ترشيدها قدر الإمكان، والله المستعان في ذلك وعليه التكلان .

نظم العذب النَّمير
في ضوابط التكفير

الحمدُ لله على الإســـــلام ... دَاخلُهُ لا شَـــكَّ في سَـــلاَم
أعني سلامَ الدمِ والعرضِ كذا ... سلامَ أموالٍ بـــوحيِ ربي ذا
بِجَلْبِها قد صَلَحَ المعـــــاشُ ... والطيـــرُ زانَ طيرَهُ الفِـراشُ
وطاب أصلُ الخيرِ والعطـــاءُ ... بِحفظِ ما يسْمُـــو به العـــلاءُ

ثم الصلاةُ والسلامُ ما مشى ... في الدربِ ماشٍ أو كَبَا مَنْ عَطِشَا
أُخَيَّ إنَّ الكفرَ والحكمَ بِهِ ... مِن أخطرِ الأحكامِ لا تلهو بِهِ
فبينما المرءُ ينامُ آمِنا ... نحْسِبُهُ فيما نراهُ مُؤْمِنا
إذا بِسَهْمِ الكفْرِ يُرْدي أَمْنَهُ ... بلفظةِ التكفيرِ لا أَمْنَ لَهُ
كالذِّئْبِ يَرْصُدُ ضَحِيَّةَ الغَنَمْ ... وأَيُّ عذرٍ يُنْجي مِنْ ذاك النَّهَمْ
الرِّفْقُ ما زانَ إلا بِثِقْلِهِ ... في قَلْبِ عبدِ الربِّ لا بِقَلْيِهِ
فالمُؤمِنُ يَحْذَرُ مَعْ تَمَعُّنِ ... إطلاقَ حكمِ الكفرِ كفرِ المؤمنِ
لأنهُ يفرحُ بالهدايةِ ... لإخوةِ التوحيدِ والوَلايَةِ
ويَحْزُنُ التقِيُّ إن زَلَتْ قَدَمْ ... وجاهدَ التقويمَ إن خَطْبٌ هَجَمْ
كالكَفِّ للكفِّ قويتانِ ... لا دَرَنَ بِهما نَقِيَّتانِ

ضابط عام

فَكُلُّ مسلمٍ يقيناً دَخَلا ... دائرةَ التوحيدِ حقاً حصلا
على جميعِ حقِّه المنصوصِ ... فلا يزالُ الحقّ بالمَخْروصِ
من الظنونِ ومِنَ الأوهامِ ... كاليَقَظةِ لا تُرْمى بالأحلامِ

شروط تكفير المعين

وبعدُ : فالأحكامُ كُلُّها تَقَعْ ... مِنْ فسقٍ اوْ تكفيرٍ اوْ ظُلْمٍ البِدَعْ
على مُعَيَّنٍ بشرطٍ يُتَّبَعْ ... فاعْنَ بِهِ فالحقُّ نُورُهُ سَطَعْ
هو مِنَ اعْظمِ الشروطِ كُلِّها ... خُذْ نَظْمَهَا دُراً أَتَى واعمَلْ بِها
وَهْو انتفاءُ سائرِ الموانعِ ... كذا تحقُّقٌ لشرطِ الواقِعِ
فالرجْمُ لِلْمُحْصَنِ شرطٌ ثَبَتَا ... ولا يُقامُ حيثُ مَنْعٌ قَدْ أَتَى
والقَطْعُ للسارقِ أيضاً يُشْتَرَطْ ... العقلُ والبلوغُ فيه مُتَّفَقْ
والحِرْزُ والحدُّ ولكنْ يُمْنَعُ ... بمانعٍ قويٍّ فيه يُسْمَعُ
كذلك التكفيرُ للمعيَّنِ ... يُعْتَبَرُ بشرطِهِ المُبيَّنِ
العلمُ بالتحريمِ لِلْمكَفَّرِ ... بِهِ ، وعمْدُهُ لفعلِهِ الجَري
والاختيارُ ثالثُ الشروطِ ... فاقِدُهَا لا يأتي بالمشروطِ

موانع تكفير المعين

أما الموانعُ التي تُعَطِّلُ ... الحكمَ بالتكفيرِ بل وتُبْطِلُ
فالجهْلُ بالتحريمِ قبلَ أن تروم ... عليهِ حُجةٌ من اللهِ تقومْ
من عالمٍ في شَرْعِهِ يُرَادُ ... كذا أميرٌ عارفٌ يُهابُ
مع التمكُّنِ مِنَ العِلمِ بِهِ ... وقدرةٍ لَهُ على مطلوبِهِ

والخطأُ الإكراهُ والنسيـــانُ ... أسقطها معبودُنا الرحمـــنُ
وخمسة من الأمور تشتــرط ... لعذر الإكراه فحقق مـا ثبت
تحقق لكره ما تـــــوعدا ... وقدرة بعد امتناع وجـــدا
وعجزه عن دفعه مـــحاولا ... وكونه محرما وعـــــاجلا
كذلك التأويلُ مانـــعٌ قوي ... بشرطِ سوغِهِ مساغاً ينجـلي

أصل عام : التفريق في الحكم بين الفعل والفاعل

كذاك لا بدّ من التفريـــــق ... في الحكم بالتكفير والتفسيقِ
بين الذي قد صدر منهُ العملْ ... وبيـــن فعله لنكرٍ قد جلَـــلْ
فالعبدُ قد يقع بالكفـــــرانِ ... من غير كفره بذا النكـــران

بيان فضل أهل العلم ووجوب الرجوع إليهم في مثل هذه الأمور

أُخَيَّ أهلُ العلمِ هم قـــدوتُنا ... رؤوسُـــــنا رموزُنا ساداتُنا
ما قيمةُ الجسمِ بغيـــر راسِ ... أو قيمةُ الحـاطب بِّغَيرِ فاسِ
فلهمُ عـلينا حـــقٌّ حـــقٌّ ... طاعتُهم في كل خـــيرٍ حقٌّ
تعظيمُهُمْ وحفظهُمْ وصونُهُم ... ودفعُنا لكلّ ما يســـوؤُهُـم
لحومُهم لقادحٍ مسمومـــةْ ... وعادةُ الهَتْكِ بِهِ معْـــلـومَهْ
فهمْ لنا دلائـلُ الخيـــراتِ ... وسائقو الركبِ إلى النجـاةِ
فرسانُ هذا الأمرِ أهـلُ العلمِ ... لكلّ أمرٍ أهلُهُ فـي السِّلْـــمِ
فأعطِ قوسَ الأمّةِ بـاريهـــا ... تُحْفَظْ بإذنِ ربِّـها باريهـــا
ويُحْصَر الشرُّ بقيدِ خـيرهـا ... ويسكت العَيُّ بنُطْقِ خَـيرِها
فنسـألُ اللهَ لأمةِ الهُـــدى ... هدايةً تعلو بها شمسَ الهُدَى
أستغفِرُ اللهَ من بعد توبـــةِ ... تمحو الذنوبَ وتزيلُ حَوْبَتِي
وتَنْثَنِي رضاً وتغشى مُضْغتِي ... وتقتضي تواضعاً للإِخْـــوةِ
والحمدُ لله مع الصـــلاةِ ... مع السلامِ وافرِ الصِّـــلاتِ
على النبيْ محمَّدٍ وآلـــهِ ... وصـــحبِهِ وتابعـي مِنْوَالِهِ

نافذة على العقيدة :

معنى محمد رسول الله : الإيمان بأنه مرسل من عند الله ، فنصدقه فيما أخبر ، ونطيعه فيما أمر، ونترك ما نهى عنه وزجر، ونعبد الله بما شرع ، لا بالأهواء والبدع .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتاب النبوة ما نصه : (الأنبياء عليه السلام كان أول دعوتهم ، وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله تعالى ،و تصحيح الصلة بين العبد وربه ، والدعوة إلى إخلاصِ الدين لله ، وإفراد العبادة لله وحده ، وأنه النافع الضار ، المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك (الذبح) وحده ، وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية في عصورهم ، الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام ، والصالحين المقدسين من الأحياء والأموات) .

نافذة على اللغة :

فصل في الحلم : يقال : فلان حليم الطبع ، واسع الخلق ، رحب الصدر ، رحب البال ، وقور النفس ، راجح الحلم ، رزين الحصاة، رصين ، رزين ، حصيف، متأن ، متثبت . لا يستخفه غضب ، وإن له حلما أثبت من ثبير، وهو أحلم من معن بن زائدة ، وأحلم من الأحنف بن قيس .

نافذة على الفقه :

شروطُ صحةِ التيممِ ستةٌ : ١ ـ النيةُ بالقلب . ٢ـ الإسلامُ . ٣ـ العقلُ . ٤ـ التمييزُ . ٥ـ انعدامُ الماءِ أو تعذرُ استعمالِهِ .
٦ـ أن يكونَ بصعيد طاهر ـ وهو ما كان من جنس الأرض ـ .
فروضُ التيمم أربعةٌ : ١ ـ مسحُ الوجهِ . ٢ـ مسحُ اليدينِ إلى الرُّسغينِ . ٣ـ الترتيبُ . ٤ـ الموالاةُ .
نواقضُ التيمم ثلاثةٌ : ١ـ نواقضُ الوُضوءِ . ٢ـ وجودُ الماء . ٣ـ زوالُ العذر المُبيحِ .

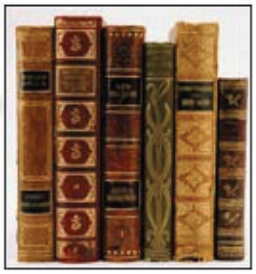

من فتاوى العلماء

س : ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم : ٧١] ؟
ج : الورود في الآية الكريمة ، هو المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فقد دلّت الأحاديث والآثار الكثيرة على أن الصراط ينصب على جهنم ويمر الناس عليه على قدر أعمالهم .
[اللجنة الدائمة ، فتوى رقم (٧٩١٨)]

س : ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة : من كان شيخه كتابه ، ضلّ عن صوابه؟
ج : المعروف : أن من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه ، هذه هي العبارة التي نعرفها .
[فتاوى سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ، مجلة البحوث العدد (٤٧) ص: ١٧٠]

س : ما الواجب بوطء الحائض ؟
ج : يجب على من وطئ الحائض دينار أو نصفه كفارة ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو وجيه ، لأن الكفارات كما تكون في الأيمان ، تكون في فعل المعاصي رجاء تخفيفها ، وهي من تمام التوبة . [العلامة السعدي ، الفتاوى السعدية (ص: ١٣٥)] فائدة : الدينار يساوي : أربع غرامات وربع ذهب .

وقفاتٌ مع الغايات

من نذر نفسه لله فسيتعب كثيراً ، لكنه سيعيش كبيراً ، ويموت كبيراً ، الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله. [سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز]

ذهب كل شيء ، وبقي ما حفظنا . [العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين]

إنَّ أول من أحدث المولد بالقاهرة الخلفاء الفاطميون ، وأوّلهم المعز لدين الله ، توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة ٣٦١ هجرية ، ودخل القاهرة في رمضان ، فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر . [مفتي الديار المصرية فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي] .

إن الذي تقام له ذكرى خشية النسيان هو من لا يُذكر ، أما من يُذكر ولا يُنسى ، فكيف تقام له ذكرى حتى لا يُنسى؟ أليس هذه من تحصيل ما هو حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ينزَّه عنه العقلاء . [فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري ـ المدرس بالحرم النبوي الشريف]

خراب البيوت

لقد امتنَّ الله علينا بنعمة البيوت ، فجعلها سكناً لنا ومستقراً ، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [النحل : ٨٠] . وإذا أردت أن تعرف أهمية البيت الذي تعيش فيه ، تأمل حال الذين لا بيوت لهم من يعيشون في المخيمات المؤقتة ، أو على أرصفة الطريق .

وإذا سمعت مشرّداً يقول : ليس لي بيت أعيش فيه ، أنام أحياناً في بيت فلان ، وأحياناً في الحديقة ، أو على شاطئ البحر ، أو في مداخل بعض الأبنية ، فلو تأملنا حال هؤلاء لعرفنا نعمة البيت .

ولما انتقم الله من يهود بني النضير سلبهم نعمة البيت ، فشردهم من بيوتهم ، قال تعالى : ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الحشر : ٢] .

وخراب البيوت نوعان : حسّيٌّ ، ويكون بتدمير البيوت بالحروب والزلازل . ومعنويٌّ ، ويكون بفسادها من الداخل فساداً أخلاقياً واجتماعياً ، مع بقاء جمالها العمراني ، وكلّ ذلك سببه الذنوب والمعاصي . فكم ممن يسكن القصور المشيّدة ، والبيوت العاجيّة ، وبيته مدمَّر من الداخل ؛ خلافات أسرية حادَّة ، مشاحنات زوجية ، قطع للأرحام ، وعقوق للوالدين ، ثم يأتي رب الأسرة فيسأل عن سبب انهيار بيته من الداخل ، ولم يدرِ ذاك المفرِّط أنه هو السبب بتفريطه في التمسك بدين الله سبحانه ، وعدم تربيته لأسرته على أحكام شريعة الله عزَّ وجلَّ ، والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : ٦] . قال علي رضي الله عنه : (علموهم وأدبوهم) . وقال النبي ﷺ : «إن الله سائل كل راعٍ عمّا استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [رواه النسائي وهو صحيح].

فهلّا أصلحنا بيوتنا من الداخل بالتزام شرع الله ، والوقوف عند حدود الله قبل أن نجمع على أنفسنا خرابَيْنِ ، خراب الدنيا ، وخراب الآخرة .

نفحات

للإعلان في مجلة نفحات :

majallat.nafahat@gmail.com

تلفاكس : ٠٠٩٦١ ٦ ٤٧١٧٨٨

محمول : ٠٠٩٦١ ٧٠ ٩٠١٧٨٣